

برنامج أنوار كاشفة سلسلة الموعدة على الجبل الحلقة الثامنة

مستمعي العزيز ، إذا طرحنا السؤال ما هو الأمر الذي يجعل الإنسان يسعد في حياته ؟ لأجاب الكثيرون المال . وبرأيهم أنه كلما حصل المرء على المزيد من المال والممتلكات لزادت سعادته . ولهذا تراهم ينظرون بحسرة وإعجاب إلى أولئك الناس الأغنياء ، أصحاب الملايين والقصور الفخمة والسيارات الكبيرة . ويتمنون في قلوبهم لو حصلوا ولو على جزء يسير مما يملكه هؤلاء ، ويظنون أن حياتهم ستكون عندها أكثر بهجة وحيوية.

وفي المقابل نجد أن متطلبات الحياة العصرية أصبحت كثيرة جدا وباهظة التكاليف . فعلاوة على الحاجات الأساسية من طعام ولباس ومسكن وسيارة ، هناك الفواتير العديدة التي يجب على الإنسان أن يدفعها وبشكل مستمر . لهذا نجد معظم الناس تركض وراء تأمين معيشتها وتسديد كافة احتياجاتها . لا بل يضطر البعض لكي يعمل ساعات طويلة في اليوم ، وأن يحرم نفسه من الإجازات وأوقات الراحة .

لا نستطيع أن ننكر إذن أهمية دور المال في حياتنا. لكن إلى أي حد يا ترى نسمح للمال أن يسيطر على حياتنا ويقودها ؟ وهل يصبح جمع المال هو شغلنا الوحيد ؟ وهل نحن على استعداد لتدمير علاقاتنا العائلية والاجتماعية في سبيل الحصول على المزيد والمزيد من المال؟ وهل بإمكاننا تأمين معيشتنا وحاجاتنا دون أن نصبح عبيدا للمال ؟ وهل المال هو حقا أساس سعادة الإنسان ؟

لقد أجابنا المخلص يسوع المسيح عن كل هذه التساؤلات في موعظته المشهورة على الجبل ، والتي بدأنا بدراستها منذ عدة أسابيع . وسجل لنا البشير متى ما ذكره المخلص المسيح حول هذا الموضوع الهام ، والذي يمس حياة كل واحد منا ، في النصف الثاني من الأصحاح السادس . ولنلاحظ كما ذكرنا في اللقاءات السابقة أن المخلص المسيح وجه كلامه إلى تلاميذه ومن خلالهم إلى كل الذين سيؤمنون به في المستقبل .

وبتعبير آخر من الصعب علينا أن نفهم وندرك ما قاله المسيح عن موضوع المال ، إذا لم نصبح أولا من أولاد الله ونختبر بالتالي نعمته بالخلاص . إن الطالب لا يستطيع أن يستوعب المواد الدراسية إذا لم يسجل إسمه في المدرسة، ويحضر إلى الصف ويستمع إلى شرح المعلم أو المعلمة . هكذا الإنسان العادي قد يجد كلام المخلص المسيح عن موضوع المال ، مجرد طلاس من الصعب عليه فهمها . بينما يصبح الأمر متيسرا له عندما ينال خلاص الله .

بدأ المخلص المسيح بالحديث عن موضوع المال بتحذير تلاميذه بالقول : " لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون . بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون . لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا." (متى ١٩:٦-٢١)

لعلّ الجملة الأخيرة التي قالها المسيح هي بيت القصيد أو القاعدة التي نفهم على أساسها الموضوع . "لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا . " لقد أراد المسيح القول أنه يجب أن لا يكون هدفنا الأول واهتمامنا الرئيس في الحياة هو جمع المال على الأرض . لأن قلوبنا ستكون عندها متعلقة ومشغولة بهذا الكنز الفاني .

إن كنوز الأرض مؤقتة ومعرضة للسرقة والفساد والاندثار ، وخسارة كبرى أن نجعلها الهدف الرئيسي في حياتنا . بينما يجب أن يكون هدفنا الأول في الحياة هو الكنز الحقيقي في السماء ، الذي لن يتعرض لأي فساد أو سرقة ، ويبقى إلى الأبد . فهل طلب المسيح هذا ممكن يا ترى ؟ وكيف نجعل الكنز السماوي هو اهتمامنا الأول ؟

صديقي المستمع ، لقد قدّم المخلص المسيح لنا سببا هاما لماذا يجب علينا أن لا يكون اهتمامنا الرئيسي هو جمع المال على الأرض . إذ أضاف قائلا : " لا يقدر أحد أن يخدم سيدين . لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلزم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال." (متى ٦:٢٤)

عندما يكون اهتمام الإنسان الرئيسي هو جمع المال فمن الواضح أنه سيصبح كما قال المخلص المسيح شاء أم أبي عبدا للمال . وكما هو معروف فإن العبودية تعني أن يخصص الإنسان حياته ووقته وجهده للسيد المستعبد له . أليس هذا ما نلاحظه فعلا أعزائي بالنسبة لموضوع جمع المال ؟

ف نجد هؤلاء الناس الذي يسعون لجمع المال يبذلون كل جهودهم ، ويخصصون له كل أوقاتهم، ويضربون بعرض الحائط بالقيم التي يؤمنون بها . لا بل هم مستعدون للتضحية بعلاقاتهم العائلية والاجتماعية ، أي بعلاقاتهم مع زوجاتهم وأولادهم وأصدقائهم في سبيل الحصول على المزيد والمزيد من المال . فإذا لم تكن هذه عبودية فما هي إذن ؟ أو لا نسمع كل يوم القصص الواقعية الكثيرة عن أمثال هؤلاء الناس والمصير الذي يؤولون إليه ؟

قد يقول قائل : لكن كيف بنا نؤمن احتياجاتنا اليومية إذا لم نسع وراء المال ؟ إنه بالحق تساؤل معقول . ولقد أجابنا المخلص المسيح عن هذا التساؤل عندما أردف قائلا : " لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون . ولا لأجسادكم بما تلبسون . أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس." (متى ٦:٢٥)

ثم قدم المسيح أمثلة عملية من طيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد لكن الله الأب السماوي يقوتها ، ومن زنايق الحقل وعشب الحقل وكيف يلبسهما الله أجمل اللباس بدون أن تتعب وتغزل . وتساءل المسيح هل بإمكان أي منا إذا اهتم أن يزيد على قامته ذراعا واحدة ؟ وأضاف قائلا : " فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس . فإن هذه كلها تطلبها الأمم . لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها." (متى ٦: ٣١ و٣٢)

وبتعبير أوضح أراد المخلص المسيح القول : يجب أن لا تكون احتياجاتنا اليومية هي اهتمامنا الأول ومصدر قلقنا اليومي . لأن الله يعلم أننا بحاجة إلى هذه الأمور جميعها ، وهو لا بد أن يلبي كل هذه الاحتياجات لنا . لكن بشرط أن نجعل الله هو السيد الذي نملكه على حياتنا . ولهذا ختم حديثه قائلا : " لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزداد لكم . فلا تهتموا للغد . لأن الغد يهتم بما لنفسه . يكفي اليوم شره." (متى ٦: ٣٣ و٣٤)

علينا إذن أن نطلب أولا ملكوت الله وبره ، أي أن نملك الله على قلوبنا عن طريق الإيمان بشخص الفادي يسوع المسيح . وأن نجعل بر الله يسود على حياتنا ، أي أن نصبح أبرارا أمام الله بواسطة بر المسيح الذي يهبه الله لكل من يتوب ويؤمن . أي أن نجعل الله هو الأول في حياتنا ، ومركز اهتمامنا ، وعندها لا بد أن نختبر كيف يسدد الله كل احتياجاتنا . أو ليس هذا هو اختبار الملايين من المؤمنين الذين وثقوا بالله وعرفوا مدى إحساناته عليهم ؟

ولهذا نجد النبي داود يكتب في سفر المزامير قائلا: " أيضا كنت فتى وقد شخت ولم أرَ صديقا تُخلي عنه ولا ذرية له تلتمس خبزا." (مزمو ٣٧: ٢٥) وقال أيضا في مزمور آخر : " اتقوا الرب يا قديسيه لأنه ليس عوز لمتقيه . الأشبال احتاجت وجاعت وأما طالبو الرب فلا يعوزهم شيء من الخير." (مزمو ٣٤: ١٠) هل هناك أجمل من هذا الاختبار وأعظم من هذا الوعد؟ أو لا تكمن هنا السعادة الحقة التي يصبو إليها كل إنسان ؟

أجل أعزائي ، علينا كما قال المخلص المسيح أن لا نهتم للغد ، لأن الغد يهتم بما لنفسه . إذ يكفي اليوم شره . فهل نطلب من الله أن يحررنا من عبودية المال ، وأن نجعله بالتالي الأول في حياتنا ؟ وهل نحن على استعداد لكي نلقي كل امتلكنا وهمونا على الله؟